إشارات تربوية في منهيات سورة النور

الدكتور

أحمد حامد أحمد الشرقاوي

أستاذُ التفسير المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الشريعة- جامعة الجوف

المملكة العربية السعودية

إشارات تربوية في منهيات سورة النور

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى جمع آيات النواهي في سورة النور- وكانت عشر آيات- ودراستها دراسة تفصيلية واستخراج الفوائد التربوية منها والاستفادة منها في مناحي الحياة، وكانت هذه الفوائد كما يلي:

وجوب إقامة حدود الله في الأرض فهو الخير كله.

وجوب حفظ المجتمعات من الرزيلة ومقدماتها بكل وسيلة. ٣

عند وقوع البلاء والفتنة يجب معالجة النفوس وتهدئتها قبل معالجة المشكلة، وعدم الاستهانة بأي ذنب ولو كان صغيراً، فلربما فيه مقت الله وغضبه، والاستئذان والاستئناس قبل دخول البيوت، لتهيأة البيوت واستعداد النفوس قبل وأثناء الزيارة.

عدم دخول البيوت، والطهارة، والبعد عن الرزيلة بكل أشكالها حتى ولو كانت من العبيد والإيماء مع الصدق في القول والإخلاص في العمل، وعدم كثرة الحلف فإنها علامة ضعف، ولا يجوز تصديق المنافقين مهما كان حالهم اليقين والثبات مهما كانت الشدائد، ومهما كانت قوة الكفار، فالنصر من عند الله وحده. كذلك وجوب التعزير والتوقير للنبي- صلى الله عليه وسلم..

الكلمات المفتاحية: إشارات، تربوية، النواهي، سورة النور.

Educational references in the prohibitions of Surat Al-Nur

Abstract

This research aims to collect the verses of the prohibitions in Surah Al - Nur - ten verses - and study them in detail and extract educational benefits from them to guide us in different aspects of life، and these benefits were as follows: 1-It is obligatory to establish the boundaries of Allah in the earth، because this is the whole good. 2-The communities must be saved from the vice and its preliminary steps by every means. 3-When affliction and strife occur، souls must be treated and calmed before addressing the problem. 4-Not to underestimate any sin، even if it is small، because it may cause Allah's hatred and anger.5-Asking permission before entering the houses، to prepare the houses and prepare the souls before and during the visit. 6-Not to enter houses if there is no one in them and granting permission to enter to avoid suspicion.7-Chastity and purity، and distance from vice in all its forms، even from the slaves.8-Honesty in saying and sincerity in doing، and not swearing too much as it is a sign of weakness، and it is not permissible to believe hypocrites at all.9-Certainty and steadfastness، no matter what adversity، and no matter how strong the disbelievers are، as victory is from Allah alone.10 - It is obligatory to strengthen and revere the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him)، and strengthening is: helping to achieve victory، and reverence is: respect and exaltation، which are commensurate with the splendor of the prophecy.

Keywords: Educational signs، Prohibitions، Surat al-Nur.

المقـــــــدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم - وبعد

فإن استنطاق نصوص القرآن الكريم والوقوف مع إشعاراتها وأهدافها لمن الدارسات المهمة جدا حول معرفة الأهداف العلمية والعملية والتربوية من كتاب الله عزّ وجلّ، وهو ما يعرف بدراسة مقاصد القرآن الكريم، وإنّ لسورة النور نوراً يضئ القلب ويرح النفس ويهدي العقل إلى العيش في المجتمع المثالي الذي أراده الله تبارك وتعالى وخلق خلقه ليعيشوا فيه ويسعدوا به، وهذا ما دفعني- بعد توفيق الله وفضله- أن أقف مع منهيات سورة النور وقفة تأمل وتدبر لنأخذ منها الإشارة التربوية التي تهدينا إلى إصلاح حال المجتمع المسلم- ولو في بعض الجوانب-، والعمل على إسعاده في الدنيا والآخرة.

محددات البحث:

أ) - **إشكالية البحث**: إنّ إفراد مسألة من مسائل القرآن الكريم بالبحث والدراسة والتعمق في أهدافها يعطى نتيجة أفضل وواقع عملي أحسن من الاقتصار على التفسير لكل آيات وسور القرآن الكريم أو دراسة موضوعاته، وإنّ نواهي سورة النور- حد علمي- لم تجد دراسة مستقلة تهتم بها، وتخوض في مآلات أسلوبها، وخطاب كلماتها ودلالاتها، مما دفعني- بعد توفيق الله عزّ وجلّ- إلى دراسة هذا الموضوع على حده للإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هي ءايات النهي في سورة النور، وما موضوعاتها؟
- ما مقتضى الحال لكل آية من آيات النواهي في سورة النور؟
- وما المنهج العلمي في الربط بين أسلوب النهي ومضمون الآية وموضوع السورة؟
- كيف نستفيد تربوياً من نواهي سورة النور وعلاقتها بالواقع العملي للمسلمين؟

ب) **أهداف الدراسة**:

١ – إفراد نواهي سورة النور بالجمع والاستقراء في دراسة قرآنية مقاصدية.

٢- إظهار مدى اعتناء العلماء بالدراسات القرآنية في نواهي سورة النور ومنهياتها.

٣- إظهار ارتباط القرآن الكريم بواقع المسلمين من خلال أنموذج منهيات سورة النور.

٤- الاستفادة من التأمل والتدبر في أسلوب القرآن الكريم ومنها المنهيات.

٥- قراءة تجديدية في سورة النور التي أُمرنا بتعليمها لنسائنا.

ج) - **أسباب الدراسة**:

١- عدم وجود دراسات مستقلة لهذه المسألة رغم أهميتها.

٢- تهاون كثير من المسلمين- إلا من رحم الله تعالى- في البعد عما نهي الله بجرأة واستهتار.

٣- كثرة الفتن والمشاكل في المجتمع المسلم التي حتما تؤدي إلى ضعفه وزلزلته خصوصاً في مسألة الأسرة التي تعتبر هي النواة الأولى في المجتمع المسلم.

هذا وغيره مما دعاني إلى البحث في هذا الموضوع والوقوف على بعض النتائج فيه لعلّ الله أن يفتح لنا بما ينفع الخلق فيهتدوا إلى الحق المبين.

د) - منهج البحث: اتبع الباحث المنهج الاستقرائي الجمعي والتحليلي والاستنباطي.

فأمَّا المنهج الاستقرائي الجمعي، فبتتبُّع آيات النهي في سورة النور، وجمعها، وحصرها وترتيبها. وأمَّا لمنهج التحليلي، فبوصف وتحليل آيات النهي في سورة النور ودلالات ألفاظها وأردافها بشرح وتوضيح من حيث بيان علاقتها بمقتضى حال النزول.

وأما المنهج الاستنباطي فلبيان طريقة استخراج المعاني المقاصدية من منهيات سورة النور، والكشف عن الأثر التَّربويّ والسلوكيّ وقِيَمِهِ العلمية ونكته المعرفية.

هـ) **إجراءات البحث**: تتبع الباحث آيات النهي في سورة النور، وقام بدراسة متأنية لها، وقد راعى ما يلي:

١ – التأصيل النظري لمصطلحات الدراسة من الكتب المتخصصة.

٢ – التدقيق والتحرير في مسائل هذا الموضوع بعد جمع الأقوال والآراء فيه، والعمل على حسن تنسيقها، وإتمام ما نقص وإيضاح ما غمض منها لتخرج- بفضل الله- أفضل النتائج.

٣- عزو الأقوال إلى قائليها والرجوع إلى مصادرها من أجل الاستفادة منها.

٤- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، مع ذكر الحكم عليها – إن أمكن - إن كانت في غير الصحيحين.

٥- كتابة الآيات بالرسم العثماني مع بيان اسم السورة ورقم الآية في المتن.

هـ) - **الدراسات السابقة**: لقد حظيت سورة النور بأنواع مختلفة من الدراسة ما بين تفسير تحليلي وموضوعي وفي دراسات مستقلة، وذلك لأهميتها في حياة المسلمين، لكن أفراد آيات النواهي بدراسة تربوية مقاصدية فلم أقف عليه، لذلك استعنت بالله تعالى في دراسة هذه الموضوع على حدة واختلفت عن الدراسات السابقة بالوقوف على مقتضى الحال لكل آية، والنظر في الحِكم والبحث عن العلل، وربط الآيات بالوقع.

ز) - **خطَّة البحث**: وتتكون هذه الدراسة من: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. وكل مبحث تحته عدة مطالب.

١ - أما المقدمة: وهي التي نحن بصددها.

٢ - **المبحث الأول**: (التعريف بمصطلحات البحث وسورة النور)

أولاً: المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث

ثانياً: المطلب الثاني: التعريف بسورة النور.

٣ - **المبحث الثاني**: جمع آيات النواهي في سورة النور وتفسيرها.

أولاً: المطلب الأول: جمع الآيات وترتيبها.

ثانياً: المطلب الثاني: تفسير آيات النواهي.

٤ - **المبحث الثالث**: مقتضى الحال لآيات النواهي وأثرها التربوي.

أولاً: المطلب الأول: مقتضى الحال لكل آية من آيات النواهي في سورة النور.

ثانياً: المطلب الثاني: الأثر التربوي وعلله لآيات النواهي في سورة النور.

٥- **الخاتمة**: وشملت أهم النتائج والتوصيات، ثم فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول
(التعريف بمصطلحات البحث وسورة النور)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
التعريف بمصطلحات عنوان البحث
" إشارات، تربوية، النواهي، سورة النور"

إنّ معرفة الشيء فرع عن تصوره، ولذا إذا أردنا أن نعرف مضمون البحث لابد أن نتكلم عن مفردات البحث، وهي كالتالي:

أولاً: إشـــارات: وَالْإِشَـــارَة عِنْد إِطْلَاقهَا حَقِيقَة فِي الحســـية، وتعرف بأنها: التَّلْوِيح بِشَـيْء يفهم مِنْهُ النُّطْق؛ فَهِيَ ترادف النُّطْق فِي فهم الْمَعْنى. ولكنها تكون كذلك معنوية - وهو المقصـود في البحث-، وتعرف بأنها: عبارَة عَن أَن يُشِـير الْمُتَكَلّم إِلَى معَان كَثِيرَة بِكَلَام قَلِيل يشـبه الْإِشَـارَة بِالْيَدِ، فَإِن المشـير بِيَدِهِ يُشِـير دفْعَة وَاحِدَة إِلَى أَشْـيَاء لَو عبر عَنْهَا لاحتاج إِلَى أَلْفَاظ كَثِيرَة وَمن أمثلتها قَوْله تَعَالَى: {وغيض المَاء} فانه أَشَـارَ بِهَاتَيْنِ اللفظتين إِلَى انْقِطَاع مَادَّة الْمَطَر وبلع الأَرْض وَذَهَاب مَا كَانَ حَاصِـلا من المَاء على وَجهَا من قبل. وإشـارة النَّص: مَا عرف بِنَفس الْكَلَام لَكِن بِنَوْع تَأمل وَضـرب تفكر. وَالْإِشَـارَة الحسـية: تقوم مقَام الْعبارَة إِذا كَانَت معهودة [١]. لأن الإشارة تعبير عن معنى في النفس[٢].

الإشـــارة اصـــطلاحاً: التلويح بشـــيء يفهم منه النطق فهي ترادف النطق في فهم المعنى، وإشارة النص: العمل بما يثبت بنظم الكلام لغة لكنه غير مقصود كقوله تعالى: "

(١)الكليات معجم في المصـطلحات والفروق اللغوية/ أيوب بن موسـى الحسـيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، صـ ١٢٠، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت. المعجم الوسيط/ إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، ص ٤٩٩، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)/ د. محمد حسن حسن جبل،(٢/ ١١٢٣)، مكتبة الآداب – القاهرة، الأولى، ٢٠١٠ م.

وعلى المولود له رزقهن"، سيق لإثبات النفقة وفيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء[١]. والإشارة عند إطلاقها حقيقة في الحسية وإشارة ضمير الغائب وأمثالها ذهنية لا حسية والإشارة إذا استعملت ب: " على "، يكون المراد الإشارة بالرأي وإذا استعملت ب: " إلى "، يكون المراد الإيماء باليد وأشار به عرفه[٢].

ثانياً: تربوية: التربية لغة: مشتقة من أصول ثلاثة:

الأصل الأول: ربا: رَبا الشيءُ يَرْبُو: زَادَ وَنَمَا. وأَرْبَيْتُه: نَمَّيته. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: " وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ"؛ قَالَ أَبو إِسحاق: يَعني بِهِ دَفْعَ الإِنسان الشيءَ ليُعَوَّضَ مَا هُوَ أَكثرُ مِنْهُ [٣].

الأصل الثاني: الربّ، قال ابن الأنباري: الرب على ثَلَاثَة أَقْسام: الرَّبُّ: الْمَالِك؛ والرَّبّ: السيِّدُ المُطاع، والرَّبُّ: المُصْلح. يقال رَبّ يَرُب بمعنى أصلحه وتولّى أمره وساسه وقام عليه. وربّ الشيء إذا أصلحه، وربّيت القوم أي: سُستُهم[٤].

الأصل الثالث: ورَبَوْتُ في بني فلان ورَبيتُ: أي نشأتُ فيهم. ورَبَّيْتُهُ تَرْبِيَة وتَرَبَّيْتُهُ: أي غذوته. هذا لكلِّ ما ينمي، كالولد والزرع ونحوه[٥].

فالمادة تدور على معنى التنشئة والتنمية للمواهب والمحافظة على الإنسان في أفضل حال خَلْقاً وخُلُقاً.

---

(١) – التوقيف على مهمات التعاريف/ محمد عبد الرؤوف المناوي، ص ٦٥، دار الفكر المعاصر بيروت، الأولى ١٤١٠هـ، تحقيق/ محمد رضوان الداية.

(٢) – لسان العرب/محمد بن مكرم بن على، ابن منظور الأنصاري(المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الثالثة - ١٤١٤ هـ

لسان العرب مادة ربا خمسة ١٢٨.

(٣) – لسان العرب مادة ربا: (١٤/ ٣٠٤).

(٤) – لسان العرب:(١/ ٤٠٠) مادة ربب. تهذيب اللغة/ محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، (١٥/ ١٢٨)، مادة ربّ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى، ٢٠٠١م.

(٥) – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)(٦/ ٢٣٥٠) مادة: ربا، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

التربية اصطلاحا: عبارة عن تبليغُ الشيءِ إلى كماله شيئا فشيئاً[١].

التربية الإسلامية: هي رعاية الإنسان في جوانبه الجسمية والعقلية والعلمية والوجدانية والاجتماعية وتوجيهها نحو الصلاح والخير والوصول بها إلى الكمال. وغايتها: تحقيق العبودية الخالصة لله على مستوى الفرد والمجتمع[٢]. والمراد بها الفوائد التي يصلح بها حال الفرد والمجتمع.

ثالثا: منهيات: (ن هـ ي) النَّهْيُ: خلاف الْأَمر، نَهاه يَنْهاه نَهْياً، فانْتَهى وتَناهَى، وتَناهَوْا عَن الشَّيْء: نَهى بَعضهم بَعْضًا، وَفِي التَّنْزِيل: (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلوهُ) وَقد يجوز أَن يكون مَعْنَاهُ ينتهون[٣].وَنَهَى اللَّهُ تَعَالَى أَيْ حَرَّمَ[٤].

وفي الاصطلاح: قول يتضمن طلب الكف على وجه الاستعلاء بصيغة مخصوصة هي المضارع المقرون بلا الناهية، مثل قوله تعالى: " وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا"(الأنعام:١٥٠) [٥]. وطلب الكف منه ما يكون جازماً وهو المحرم، ومنه ما يكون غير جازمٍ وهو المكروه[٦]. والمراد بها هنا الآيات التي ذكرت فيها لا الناهية في سورة النور، وهي عشر آيات.

---

(١) – أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، (١/ ٢٨)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى - ١٤١٨ هـ

(٢) – التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها/ عاطف السيد، ص ٩، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

(٣) – المحكم والمحيط الأعظم/أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]،(٤/ ٣٨٤)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٤) – المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/ أحمد بن محمد بن علي الفيومي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، (٢/ ٦٢٩)، المكتبة العلمية - بيروت.

(٥) – الأصول من علم الأصول/ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، صـ٢٨، دار ابن الجوزي، الرابعة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٦) – روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل/ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، (١ / ١٠١)، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

رابعاً: سورة النور: هي السُّورَة الرابعة والعشرون من حيث ترتيب المصحف، وهي الْمِائَة من حيث تَرْتِيبِ نُزُولِ سُوَرِ الْقُرْآنِ، فعن جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ سورة النور بَعْدَ سُورَة النصر وَقَبْلَ سُورَة الْحَجِّ، أَيْ عِنْدَ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ سُورَة الْحَجِّ مَدَنِيَّة. وَآيُهَا اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ فِي عَدِّ الْمَدِينَة وَمَكَّة، وَأَرْبَعٌ وَسِتُّونَ فِي عَدِّ الْبَقِيَّة [١].

وخلاصة القول: في موضوع البحث الوقوف على الجوانب والفوائد العلمية والعملية والتربوية لما نهى عنه ربنا تبارك وتعالى من آداب وعبادات وأخلاق في سورة النور، كي نحذر ونتجنب ونستجيب لنهي الله، فتستنير حياتنا بنور القران وتستنير قبورنا وآخرتنا بنور الإيمان.

□

(١) – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/ محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (١٨/ ١٤٠)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ

المطلب الثاني
التعريف بسورة النور

سورة النور مَدَنِيَّة بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَلَا يُعْرَفُ مُخَالِفٌ فِي ذَلِكَ [١]، وحكى أبو حيان الإجماع على مدنيتها، آياتها: ثنتان وستون أو أربع وستون آية (٢)، سميت بهذا الاسم لتنويرها طريق الحياة الاجتماعية للناس، ببيان الآداب والفضائل، وتشريع الأحكام والقواعد، ولتضمنها الآية المشرقة وهي قوله تعالى: " اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ" أي منورهما، فبنوره أضاءت السماوات والأرض، وبنوره اهتدى الحيارى والضالون إلى طريقهم. فيها أُنس وشعور بالطمأنينة لأن المؤمن يرتاح للعفة والطهر، ويشمئز من الفحش وسوء الظن والاتهام[٣].

محورها عمود النور القائم في السورة من أولها إلى آخرها مركزه منتصف السورة حيث النور المتصل بذات الله سبحانه وتعالى وما قبله وما بعده طرق من الإشعاع: (تنير القلب والعقل والروح، يكون أثرها نور في الأرواح وإشراقاً في القلوب وشفافية في الضمائر)، توصل إلى النور الأصلي كي يقتبس الخلق منه كلٌ على قدر حبه وعمله واستجابته، والله الكريم يفيض على أوليائه، قال تعالى: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (النور:٣٥)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور:٤٠)، وتحصيل ذلك يكون باتباع الهدي الإيماني الأخلاقي القائم في ثنايا السورة، وحادثة نزول السورة - حادثة الإفك- وما ترتب عليها من ابتلاءات كثيرة للمجتمع المسلم تؤكد على أهمية الأخلاق في أيّ مجتمع نظيف هادئ فكيف بأمة أرسل نبيها- صلى الله عليه وسلم-

(١) – الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،(١٢/ ١٥٨)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤ م. وينظر التحرير والتنوير:(١٨/ ١٣٩).

(٢) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، (٩/ ٢٦٣)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ

(٣) – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/د وهبة بن مصطفى الزحيلي،(١١٩/١٨)، دار الفكر المعاصر دمشق، الثانية،١٤١٨هـ

رحمة للعالمين[١]. ولقد ذكر الشـيخ البقاعي قولاً آخر قريباً من هذا القول حيث قال رحمه الله: " مدلول اسمها المودع قلبها، المراد منه: أنه تعالى شامل العلم، اللازم منه تمام القدرة، اللازم منه إثبات الأمور على غاية الحكمة اللازم منه تأكيد الشـرف للنبي - صـلى الله عليه وسلم -، اللازم منه شرف من اختاره سبحانه لصحبته، على منازل قربهم منه، واختصاصهم به، اللازم منه غاية النزاهة والشـرف والطهارة لأم المؤمنين عائشـة رضي الله عنها، التي مات - صـلى الله عليه وسـلم - وهو عنها راض، ثم ماتت هي رضـي الله عنها صالحة محسنة، وهذا هو المقصود بالذات، ولكن إثباته محتاج إلى تلك المقدمات"[٢].

أما محاور وموضوعات السورة فهي كالتالي:

١- الشدة والقوة وعدم التراخي أو مراعاة المشاعر في تطبيق أحكام الشريعة، فإنّ تطبيق أمر الله هو الرحمة والحكمة والعدل والصلاح الدائم والسعادة التامة لجميع الخلق- مسلم وغير مسلم- في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿سورة نزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور:١). وقد اتضح ذلك في حدّ الزنا والقذف واللعان، وهذا مما يضبط واقع المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات التي تتخبط في وحل الرزيلة، نسأل الله العافية.

٢- الآداب الأخلاقية التي يجب على المجتمع المسلم أن يستظل بظلها، وكذا التأني والرزانة وعدم العجلة في اتخاذ القرار عند حدوث فتنة فإنّ تتبع خطوات الشيطان دمار وخراب للبيوت، وأنّ الله سيجعل بعد العسر يسراً، وبعد الشدة فرجاً، وربما كان في هذا البلاء خير ورحمة لمن ابتلي به، قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ... ﴾ (النور:١١)، وفي آخر الأمر قال

(١) –ينظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ الفيروز آبادي (١ :٢٣٤).

(٢) –مصاعد النظر/ إبراهيم القاعي (٢ :٣٠٩). وذكره أيضا في نظم الدرر:(٥ / ٢٢٩).

سبحانه: ﴿.. وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور:٢٦).

٣- الآداب الاجتماعية التي هي بمثابة الحفظ والستر والوقاية للمجتمع المسلم من أن ينزل به الشك أو الريبة وتساعده على العفة والطهارة، إلى أنْ ينتهي هذا بالنكاح والحذر من السفاح، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور:٢٧)، وينتهي بقوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:٣٢).

٤- النور الإيماني التعبدي القرآني الخاص بأهل التقوى والإيمان والصلاح، والله يهدي من يشاء من عباده، يمتعهم ويسعدهم في دنياهم وأخراهم، وظلمات الكفر والفسوق والعصيان التي تضيق الحياة على أصحابها، وتنكدها عليهم، وأشقي الخلق وأكثرهم حرماناً من الخير في الدنيا والآخرة هم أهل النفاق الذين لم يعيشوا على الإيمان ولم يستضيؤا بنور الله، فلعنة الله عليهم في كل وقت وحين، قال ربي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ. ﴾ (النور:٣٥). ومروراً بقوله: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (النور:٤٠)، وينتهي بقوله: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (النور:٥٠).

٥- الاستئذان الداخلي من أهل البيت حتى الصغارُ المميّزون، وكذا إذا بلغوا، وكل أهل البيت من الأرحام ومعهم الأصحاب والخدم، وهذا أطيب وأطهر، وأكثر راحة من أن يعيش الإنسان في خوف من دخول من لا يجوز دخوله عليه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ.. ﴾ (النور: ٥٨).

٦- العنوان الختامي الرئيسي في السورة الاستجابة لله ورسوله والطاعة المطلقة حتى في أقلّ الأشياء كاستئذانهم من النبي- صلى الله عليه وسلم- أو ندائهم عليه، وليس هذا إلا لمؤمنٍ محب صادق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور:٥١)، ويختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ.... لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٢- ٦٣)، ويتوعد الكافرين والمنافقين بقوله سبحانه: ﴿أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور:٦٤)[١].

(١) – ينظر بصائر ذوي التمييز: (١/ ٢٣٥)، التحرير والتنوير: (١٨ / ١٤٠).

المبحث الثاني

جمع آيات النواهي في سورة النور وتفسيرها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

جمع الآيات وترتيبها.

إنّ الله تبارك وتعالى ذكر في هذه السورة عشرة نواهي مختلفة كلٌ منها في آية معينة تتناول قضية مختلفة عن الأخرى، وها هي الآيات العشر:

١- الآية الأولى: ﴿ الزَّانِيَة وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَة جَلْدَة وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَة فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَة مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢).

٢- الآية الثانية: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَة شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَة وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَة أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ (النور: ٤).

٣- الآية الثالثة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَة مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١١).

٤- الآية الرابعة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٢١).

٥- الآية الخامسة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النور: ٢٧).

٦- الآية السادسة: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٢٨).

٧- الآية السابعة: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوَهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٣٣).

٨- الآية الثامنة: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٣٥).

٩- الآية التاسعة: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ (النور: ٥٧).

١٠- الآية العاشرة: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

المطلب الثاني

تفسير آيات النواهي.

إنّ الوقوف على معنى كل آية من هذه الآيات على حدة يعطى معنى يتناسب مع كل آية وقصتها وموضوعها، وهذا كله يتسق مع الموضوع الكلي للسورة ليعطينا في النهاية نسقاً رائعاً ومعناً بديعاً نستطيع أن نحدد من خلاله الإشارات التربوية للنواهي الربانية في هذه السورة الكريمة - نسأل الله العلي الكريم- الفتح المبين والرزق الحسن:

١- الآية الأولى: ﴿الزَّانِيَة وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَة جَلْدَة وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَة فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَة مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢).

في هذه الآية الكريمة يأمرنا ربنا تبارك وتعالى بإقامة حدّ الزنا للخارجين على العفة والطهارة وذلك بآدب معينة تكون رادعة لمن تسول له نفسه بالاقتراب من هذه الكبيرة - نسأل الله السلامة والعافية والستر في الدنيا والآخرة - حيث شرع سبحانه فِي تَفْصِيلِ مَا أُجْمِلَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ في الآية الأولى، والْمَقْصُودَ مِنْ هذه الآية تَشْنِيعُ الزِّنَا وَتَشْنِيعُ أَهْلِهِ وَأَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ[1]. فأمر سبحانه بجلد الزاني والزانية غير المحصنين مائة جلدة، ثمّ شرط فقال: " وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَة فِي دِينِ الله": أي لا تأخذكم بهما رقة ورحمة في حكم الله تعالى فتخففوا الضرب أو تنقصوا العدد أو تعطلوا حدود الله ولا تتركوا إقامتها شفقة ورحمة، فإنّ الشفقة والرحمة للمجتمع كله في إقامة شرع الله وليس في البعد عنه، " إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله واليوم الآخر": هذا من باب الإلهاب والتهييج، " وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَة مِّنَ المؤمنين": أي وليحضر عقوبة الزانيين جماعة من المؤمنين، ليكون أبلغ في زجرهما، وأنجع في ردعهما، فإنَّ الفضيحة قد تنكل

(١) – فتح القدير/ محمد بن علي الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، (٤/ ٦)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الأولى١٤١٤.

أكثر مما ينكل التعذيب[١]. ومن شدة التنفير أمر سبحانه في الآية التي بعدها بقطع كل علاقة بين هؤلاء وجماعة المؤمنين- أصحاب العفة والطهارة - لأنّ هذه الكبيرة تهلك المجتمع وتدمر كيانه وتقوض أركانه.

٢- الآية الثانية: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٤).

آية أخرى في حكم مختلف لقضية هي قريبة من الأولى ألا وهي الخوض في أعراض المؤمنين والمؤمنات، حيث يقول سبحانه وتعالى: والذين يَشْتمون العفائف من حرائر المسلمين، فيرمونهنّ بالزنا، ثم لم يأتوا على ما رمَوْهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون، عليهنّ أنهنّ رأوهن يفعلن ذلك، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها[٢]، وذلك بثلاث عقوبات:

١- الأولى جسدية، وهي الجلد ثمانين جلدة.

٢- الثانية أدبية تسقط قيمته في المجتمع وتجعله هو المتهم، وهي عدم قبول شهادته.

٣- الثالثة دينية تصفه بالفسق الذي قد كثر شره، وذلك لانتهاك ما حرم الله، وانتهاك عرض أخيه، وإزالة الأخوة التي عقدها الله بين أهل الإيمان، ومحبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وهذا دليل على أن القذف من كبائر الذنوب[٣].

---

(١) – صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني،(٢/ ٢٩٨)، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) – جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (١٩/ ١٠٩)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٣) – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، ص ٥٦١، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.

٣- الآية الثالثة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور: ١١).

إنّ ألم ومرارة اتهام العفيفات ظلماً يعصر القلب ويقطعه من الحزن والخوف مما هو مقبل بعد هذا الظلم، فأراد الحق سبحانه رغم هذه المعاناة أن يلطّف بالقوارير فقال سبحانه: " لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُم "، أيّ لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرّا لكم عند الله وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به، ويظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجا[١]. ويقال إنّ الله- سبحانه- غيور على قلوب خواصّ عباده، فإذا حصلت مساكنة بعض إلى بعض يجرى الله ما يردّ كلّ واحد منهم عن صاحبه، ويردّه إلى نفسه، وإن النبي- صلى الله عليه وسلم- لمّا قيل له: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. فساكنها، وفي بعض الأخبار أن عائشة قالت: «يا رسول الله إني أحبك وأحب قربك»، فأجرى الله حديث الإفك حتى ردّ قلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عنها إلى الله، وردّ قلب عائشة عنه إلى الله حيث قال- لما ظهرت براءة ساحتها: بحمد الله لا بحمدك كشف الله عنها به تلك المحنة، وأزال الشكّ، وأظهر صدقها وبراءة ساحتها[٢].

٤- الآية الرابعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٢١).

إنّ الشيطان لا يأخذ صاحبه إلى الباطل مرة واحدة بل يستدرجه خطوة خطوة حتى يوصله إلى مراده، فحذّر ربنا تبارك وتعالى عباده من الاستجابة له في أيّ شيء؛ لأنه

(١) – جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (١٩/ ١١٦).

(٢) – لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، (٢/ ٥٩٦)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر
الطبعة: الثالثة.

عدوّ ظاهر العداوة، ولا يأمر بخير بل بالفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَة مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨)، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٦٨-١٦٩). والمعنى في النهي عن اتباع خُطواته، النهي عن طريقه وأثره فيما دعا إليه، مما هو خلاف طاعة الله تعالى ذكره[١]. {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} بَيِّنُ الْعَدَاوَة وَقِيلَ مُظْهِرُ الْعَدَاوَة، وَقَدْ أَظْهَرَ عَدَاوَتَهُ بِإِبَائِهِ السُّجُودَ لِآدَمَ وَغُرُورِهِ إِيَّاهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّة [٢]. ينتج عن ذلك أنّ الأصل عداوته في كل شيء ولكن الواقع مخزي ومحزن ولولا فضل الله على الخلق لضلّ أكثر الخلق- نسأل السلامة لنا ولأهلنا وذرياتنا أجمعين-، قال سبحانه: " وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً"(النساء:٨٣).

٥- الآية الخامسة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النور: ٢٧).

إنّ من فضل الله ورحمته على عباده أن جعل بينهم الود والرحمة والألفة والمحبة والصلة والتواصل، وإلا هلك الناس من الوحدة والعزلة، ولكي يدوم الود والحب جعل الله تعالى للصلة آداباً وشروطاً أهمها الاستئناس والاستئذان، فَأَوْجَبَ اللَّه تَعَالَى أَنْ لَا يَدْخُلَ الْمَرْءُ بَيْتَ غَيْرِهِ إلّا بَعْدَ الاستئذان وَالسَّلَامِ، لِأَنَّ فِي الدُّخُولِ لَا عَلَى هَذَا الوجه وُقُوعُ التُّهَمَة، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْمَضَرَّة مَا لَا خَفَاءَ بِهِ[٣].

(١) – جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (٣/ ٣٠١).

(٢) – معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي/ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، (١/ ١٨٠)، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (٥/ ١٨٦)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٢٠ هـ

(٣) – مفاتيح الغيب/ الفخر الرازي، (٢٣ / ٣٥٦).

٦- الآية السادسة: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٢٨).

ومن تمام الاستئذان أنْ لا يدخل العبد بيتا غير بيته ليس فيه أحدٌ حتى يؤذن له، وإن طلب منه الرجوع فليرجع وهو راضٍ غير ناقمٍ على البت وصاحبه، وذلك هو الرقي والحضارة بعينها، ولا تجد ذلك إلا في دين الإسلام، والمعنى: فلا تمتنعوا من الرجوع، ولا تغضبوا منه، فإن صاحب المنزل، لم يمنعكم حقا واجبا لكم، وإنما هو متبرع، فإن شاء أذن أو منع، فلا يأخذنّ أحدكم الكبر والاشمئزاز من هذه الحال، فإنّ ذلك " هُوَ أَزْكَى لَكُمْ " أي: أشد لتطهيركم من السيئات، وتنميتكم بالحسنات[١].

٧- الآية السابعة: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٣٣).

لازال النور مستمراً في السورة، ويزاد النور وأمكن حتى يصل إلى قمته في آية النور، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالعفة والطهارة وحذرهم كل الحذر من التورط في الرزيلة بأيّ طريق كان، فقال سبحانه: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ) ما ينكحون به النساء عن إتيان ما حرّم الله عليهم من الفواحش، حتى يغنيهم الله من سعة فضله، ويوسّع عليهم من رزقه،... (وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاة الدُّنْيَا): أيْ زوّجوا الصالحين من عبادكم وإمائكم ولا تكرهوا إماءكم على البغاء[٢]، (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا): وفيه زيادة تقبيح حالهم وتشنيع عليهم، فإن ذا

(١) – تفسير السعدي: صـ ٥٦٥.

(٢) – جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (١٩/ ١٧٤).

المروءة لا يرضى بفجور من يحويه بيته من إمائه، فضلا عن أمرهن بذلك وإكراههن عليه، ولا سيما عند إرادة التعفف وتوافر الرغبة فيه[١].

٨- الآية الثامنة: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٥٣).

ما أقبح النفاق وما أصعبه على صاحبه حيث يفضحه في كل اختبار تعبّدي فعليّ- كالصلاة والزكاة والجهاد-، إذْ لا يستطيع أن يهرب منه بالأقوال الكاذبة حتى ولو أكد ذلك بالأيمان، فإنّ قلب المنافق مريض قال تعالى: " فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا "(البقرة: ١٠)، ولقد بيّن ذلك ربنا فقال سبحانه: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ): للخروج لأيّ أمر تعبدي خصوصاً الجهاد فضحهم الله بمرض قلوبهم ونفوسهم فيستترون وراء الأيمان الكاذبة، فقال لهم ربنا: (قُلْ لا تُقْسِمُوا) أي: لا نحتاج إلى إقسامكم ولا إلى أعذاركم، فإن الله قد نبأنا من أخباركم، وطاعتكم معروفة، لا تخفى علينا"[٢]. فالله سبحانه وتعالى خبيرٌ بأعمالكم بصيرٌ بنياتكم.

٩- الآية التاسعة: ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ (النور: ٥٧). وعد الله تعالى في كتابه- وهو سبحانه لا يخلف وعده أبداً - المؤمنين بالرحمة والاستخلاف والتمكين في الأرض بشروط من أهمها: الإيمان بالله تعالى والحذر من الشرك، وعمل الصالحات، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول- صلى الله عليه وسلم-، لكن ربما يُخشى من قوة الكافرين وشدة بأسهم فقال سبحانه مطمئناً عباده في أكثر من آية: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران:١٩٦-١٩٧): فقد نهى سبحانه نبيّه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضرب الكافرين في البلاد، وإمهالهم مع شركهم وجحودهم

(١) – تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، (١٨/ ١٠٥)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

(٢) – تفسير السعدي: صـ ٥٢٧.

نعمه وعبادتهم غيره[١]. فالأمر كله لله، وفي السورة معنا قال سبحانه: (لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ..) أي لا تحسبن يا محمد، الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم (ومأواهم النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [٢].

١٠- الآية العاشرة: ﴿ لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَة أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

إنّ المؤمن الصادق يجلّ رسوله ويوقره مما يتناسب مع أبهة النبوة، ومن الأدب مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن لا يناده باسمه، قال تعالى: (لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً): اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: نهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم فإن دعاءه موجبة، وقال آخرون: بل ذلك نهي من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع[٣]، وقال آخرون: لَا تَجْعَلُوا أَمْرَهُ إِيَّاكُمْ وَدُعَاءَهُ لَكُمْ كَمَا يَكُونُ مِنْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ إِذْ كَانَ أَمْرُهُ فَرْضًا لَازِمًا، وقال آخرون: لَا تُنَادُوهُ كَمَا يُنَادِي بَعْضُكُمْ بَعْضًا يَا مُحَمَّدُ، وَلَكِنْ قُولُوا يَا رَسُولَ اللَّه يَا نَبِيَّ اللَّه، وقال آخرون: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فِي دُعَائِهِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) [٤]. فوجب على الأمة إجابة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في كل حال حتى أنه إذا دعاهم في حال الصلاة أجابوه لأنّ طاعته واجبة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

(١) – جامع البيان/ الطبري:(٧/ ٤٩٣).
(٢) – جامع البيان/ الطبري:(١٩/ ٢١٠).
(٣) – جامع البيان/ الطبري:(١٩/ ٢٣٠).
(٤) – مفاتيح الغيب/ الرازي:(٢٤/ ٤٢٥).

المبحث الثالث

مقتضى الحال لآيات النواهي وأثرها التربوي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

مقتضى الحال لكل آية من آيات النواهي في سورة النور.

سورة النور مدنية باتفاق، وآياتها نزلت في أحداث مشهورة مثل حدّ الزنا وحدّ القذف واللعان وحادثة الإفك، وكل حادثة منها لها مقتضى خاص بها يظهر خلفية الآيات ويوضح المراد منها، نحاول- بفضل الله تعالى- في هذا المبحث الوقوف علي مقتضي الحال لكل آية:

١- الآية الأولى: ﴿الزَّانِيَة وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَة جَلْدَة وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَة فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَة مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢).

مطلع السورة يشهد الحديث عن حدّ الزنا، والآية لها سبب نزول حديث أبي مرثد الغنوي وصديقته التي كانت تمارس البغاء وذلك وقت الهجرة في أول مرحلة المدينة [(١)]، فمقتضى الحال للآية تأسيس القواعد في الإسلام عند بداية الهجرة ودخول الناس في الإسلام حديثاً، ولازالت عادات الجاهلية مورثة مغروسة فيهم، فوقف الإسلام موقف الحزم منها، ليمحو الباطل ويقيم الحق والشرع.

٢- الآية الثانية: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَة شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوَهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَة وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَة أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ (النور: ٤).

(١) – جامع البيان/ الطبري:(١٩/ ٩٧).

لم يتم تحديد وقت نزول الآية والأحداث المحيطة بها إلا أنّ الأقرب إلى معناها هو تأسيس قواعد الدين بعد الهجرة مباشرة أو بعدها بزمنٍ قليل، خصوصاً وأن أمر القذف واتهام الناس بالباطل أمراً كان مشهوراً في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أراد أن يوقف الأمور على طريق الحق ليتعود المسلمون على العفة والطهارة من أول الإسلام، فتصفوا النفوس وتتآلف القلوب في نور القرآن والسنة، وبالفعل استجاب المؤمنون لهذا النداء، وسعدت به حياتهم، حتى خرج النفاق بأسوأ قصة في هذا الشأن ألا وهي حادثة الإفك، وذلك في غزوة بني المصطلق وكانت في سنة أربعة من هجرة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وهذه المقولة التي آذت النبي- صلى الله عليه وسلم- في نفسه وأهله أشد الإيذاء، وأرّقت الصحابة وأقضّت مضاجعهم شهراً كاملاً، حتى جاء البيان الحق من ربِّ العالمين في عشر آيات كاملات- تتلى إلى يوم الدين- ببراءة أُمنا عائشة - رضى الله عنها- الطاهرة المطهرة المبرأة من فوق سبع سنوات.

٣- الآية الثالثة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١١).

النفاق أخطر شيء على المجتمع المؤمن، فلا يجتمع إيمانٌ ونفاقٌ أبداً إلا كان الحقد والغم يأكل قلوب المنافقين، ففي أول خروج للمنافقين مع النبي- صلى الله عليه وسلم- بعد فضيحتهم في غزوة أحد-، كان في غزوة بني المصطلق عام أربعة من هجرة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وقد أحدثوا فيها أحداثاً عظاما من أسوئها وأخطرها حادثة الأفك التي أوقعت الأمة بأسْرها شهراً كاملاً في حيرة وشك وارتياب ليس بعده شكّ، وفتنة تعد هي أخطر فتنة مرت بالأمة في حياة النبي- صلى الله عليه وسلم- ولولا نزول القرآن ببراءة أمنا عائشة ما خرجت الأمة من هذا النفق المظلم.

ومقتضى الحال لهذه الآية الكريمة مجتمع يموج بالفتنة والبلاء بالوقوع في القائد نفسه، والقائد ليس شخصاً عادياً يؤخذ منه ويرد عليه ويقبل في حقه- صلى الله عليه وسلم- أيّ قول، وإنما هو رسولٌ الله- صلى الله عليه وسلم- الذي نؤمن به ونتبعه ولا يجوز مخالفة أمره، وقد تكون القوة حلاً سريعاً ولكنها لن تكون ناجزة قاطعة، لأن النفوس وإن صمتت من بطش القوة فلن تكون راضية مقتنعة حتى يأتيها ما يجيب على ما يدور في نفسها من أسئلة واستفسارات، ولذلك نزل القرآن مبيناً وموضحاً حتى يخرص الألسنة ويقطع الطريق على قلوب المنافقين.

٤- الآية الرابعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٢١).

في نفس الموضوع السابق والقصة السابقة ونفس الجو الملبد بالفتن والشبهات في مجتمع منقسم على نفسه إلى أربعة أقسام ما بين مخترع للكذب بافتراء الشيطان، وآخرون ناشرون لهذا الكذب، وثالثون صامتون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ورابعون منكرون لهذا الإفك والكذب، يأتي النداء الحق من الحق سبحانه بالحذر من اتباع خطوات الشيطان لأنه لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر، وأنّ الاسترسال معه لن يوصل إلى خيرٍ أبداً. نسأل الله العفو والعافية، اللهم آمين.

٥- الآية الخامسة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ٢٧).

لايزال النور يشعّ من السورة وينتقل بنا من حال إلى حال آخر، فبعدما أنهى ربنا سبحانه وتعالى الحديث عن براءة أمنا عائشة رضي الله عنها وحلّاها به وكسها الجمال كله بقوله سبحانه: " وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ"(النور: ٢٦)، أغلق ربنا كل أبواب الفتنة والشرّ على الأمة حتى

يقطع الطريق على المنافقين بقوله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا"، ومقتضى الحال لهذه الآية في مجتمع منهك يحتاج إلى الاستقرار والأمن والهدوء وذلك بعد فتنة دامت شهراً كاملاً أوقفت فيه الرسالة والدعوة كلية، وجعلت المجتمع النبوي المدني يموج في بعضه موجاً فكان ذلك في إغلاق كل أبواب الشك والريبة ومن أهمها الاستئذان الذي يهيئ البيوت للاستعداد لاستقبال الضيوف في صورة مناسبة عقلاً وشرعاً تحفظ البيوت من أيّ خلل تعيّر به بعد ذلك.

٦- الآية السادسة: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٢٨).

وفي نفس مقتضي الحال السابق لكي يتحقق كمال الاستقرار والأمان أمرهم ربنا تبارك وتعالى ألا يدخلوا بيوتا غير بيتوهم ليس فيها أحد لأنْ البيوت نفسها عورة بما تحويه من أسرار أصحابها، وربما كان الوقت غير مناسب للزيارة فرفع ربنا سبحانه الحرج عن أهل البيوت بقوله للزائر ارجع، فيرجع الزائر راضياً مستجيبا لأمر الله وليس في قلبه على صاحب البيت شيء، وذلك دفعاً للحرج الذي ربما يحدث لو دخل الزائر والوضع غير مناسب، " هُوَ أَزْكَى لَكُمْ".

٧- الآية السابعة: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٣٣).

للآية سبب نزول: وهو ما كان من عبد الله بن أبي وجواريه وذلك قبل أن يشهر إسلامه حين قال من يعذرنا من محمد يغلبنا على مماليكنا[١]، فيكون هذا الأمر بعد الهجرة في المدينة، ومقتضى الحال لهذه الآية هو تأسيس قواعد الدين للقضاء على

(١) – ينظر التحرير والتنوير:(١٨/ ٢٢٣).

مورثات الجاهلية التي كانت منتشرة بصورة كبيرة، فجاء الإسلام فأرسى قواعد العفة والطهارة من أول يوم ليربي الجيل الفريد الذي علّم الدنيا كلها الفضيلة والطهارة.

٨- الآية الثامنة: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٣٥).

إنّ النور الحق يبدد ظلام الباطل ويضحده، ولازالت سورة النور تفصح كذب المنافقين كما حدث في أول السورة في حادثة الإفك، وها هي تفضحهم للمرة الثانية حتى اضطرتهم للقسم كذباً وزوراً بأنهم لن يتخلفوا عن طاعة الله ورسوله[1]، ولكنهم عند أول اختبار تأبى نفسهم إلا الكبر والاعتراض حتى فضحهم ربنا وقال لهم: " لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ "، فمقتضى الحال هو التضيق على المنافقين بعد فضحهم حتى يكفوا عن أذى جماعة المؤمنين.

٩- الآية التاسعة: ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (النور: ٥٧). لمّا بشّر ربنا عباده المؤمنين بالتمكين والاستخلاف في الأرض جال في خاطرهم ما هم فيه من الاستضعاف وقوة وبأس الكافرين فاستبعدوا الأمر حتى إنّ سيدنا عمر- رضي الله عنه- لما سمع قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر:٤٥)، قال أي جمع هذا، فأراد ربنا تبارك وتعالى أن يريح نفوسهم ويطمئن قلوبهم ويؤكد الخبر فقال سبحانه: " لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ"، فمقتضى الحال للآية طمأنة قلوب المؤمنين وإحساسهم بالقوة النفسية التي تتبعها القوة المادية والعسكرية وذلك في أول الإسلام حين ضعفهم وقوة عدوهم وذلك حتى يحقق الله لهم النصر والتمكين نسأل العزة والغلبة للإسلام والمسلمين.

(١) – الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، (١٢/ ٢٩٣)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٠- الآية العاشرة: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَـلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِـيبَهُمْ فِتْنَة أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

في ختام السـورة كأنّ النور يتجلى في ذروته في تعامل الصحب الكرام رضي الله عنهم أجمعين مع النبي الرؤوف الرحيم- صـلى الله عليه وسـلم- فأدبهم ربنا وهذبهم ورقّاهم حتى يكونوا قبة الفلك وتاج النور- وهم بالفعل قد كانوا- فأمرهم ونهاهم، وهم خير من يسمع ويطيع، فمقتضي الحال للآية الكريمة هو فضح المنافقين في تسللهم من بين يدي النبي- صلى الله عليه وسلم- خصوصاً في صلاة الجمعة كما في سبب نزول الآية الكريمة [١]، وإبراز وإظهار حال الصـحب الكرام في صـدقهم في إيمانهم بالنبي الكريم العظيم- صـلى الله عليه وسـلم- كما في قوله تعالى: "وَقَالُوا سَـمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ"(البقرة:٢٨٥)، وهذا شرط تحقق النصر للمؤمنين.

□

(١) – ينظر مفاتيح الغيب/ الفخر الرازي: (٢٤/ ٤٢٤).

المطلب الثاني

الأثر التربوي وعلله لآيات النواهي في سورة النور.

إنّ كتاب الله تعالى كتاب منهاج وعمل بعد الإيمان والاعتقاد، فكل لفظة فيه لها دلالة اعتقادية وعملية، وذلك له الأثر الطيب في قلوب وأخلاق المؤمنين به، ونحاول- بعد فضل الله تعالى- الوقوف على بعض الآثار التربوية وعللها من نواهي سورة النور ليعم النفع بها الخلق جميعاً في الدنيا والآخرة.

١- الآية الأولى: ﴿الزَّانِيَة وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَة جَلْدَة وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَة فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَة مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢).

إنّ إقامة حدٍ من حدود الله في الأرض هو الخير كله، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا"[(١)]. لكن إقامة الحدود أمر صعب على النفس وتحتاج إلى إيمان قويٍ بالله الخالق حتى تستجيب وتطيع بكل حب وخضوع، ورغم ما قد يعتري النفس من فتور أو شفقة أو رحمة بالمحدود فذكّرنا ربنا بقوله: " وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَة فِي دِينِ اللَّهِ" أيّ في إقامة الحد أصلاً، أو الضعف في إقامته بالصورة التي أمر الله بسبب الرحمة الطبعية أو القرابة أو الصحبة أو المعرفة السابقة [(٢)]، وذلك هو الهوى، قال تعالى: " فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى

(١) – أخرجه ابن ماجة:(٣/ ٥٧٦ رقم ٢٥٣٩)، حسنه الألباني في التعليق على سنن ابن ماجة، وقال الشيخ شعيب في التعليق عليه: إسناده ضعيف لضعف جرير بن يزيد، وهو البجلي. وأخرجه النسائي ٨/ ٧٥ - ٧٦ من طريق عبد الله بن المبارك، بهذا الإسناد. وأخرجه أيضًا ٨/ ٧٦ من طريق يونس بن عبيد، عن جرير بن يزيد، به موقوفًا. وقال النسائي في "الكبرى" بإثر (٧٣٥١): هذا الصواب. قلنا: لأن يونس ابن عبيد ثقة ثبت، وعيسى بن يزيد حسن الحديث. وهو في "مسند أحمد" (٨٧٣٨) و (٩٢٢٦)، و "صحيح ابن حبان" (٤٣٩٧).

(٢) – ينظر تفسير السعدي: صـ ٥٦١.

مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ"(القصص:٥٠)، والنبي- صلى الله عليه وسلم- قال: " وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَة بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[١]، وعلة ذلك:

أولاً - الرحمة والرأفة في مخالفة أمر الله ضعف إيمانٍ إن لم تكن نفاق.

ثانياً - الاشتغال بإقامة حدود الله من الإيمان بالله ورسوله.

ثالثاً - إذا حكّم الإنسان طبعه وهواه فلن يقيم أمر الله.

رابعاً - الله أرحم بعباده من الأم بولدها، وأن رحمة الله سبقت غضبه سبحانه[٢].

خامساً - تعلق الرأفة بدين الله يدل على أنها رأفة غير محمودة، لأنها تعطل الحدود وشرع الله الحدود استصلاحاً.

سادساً - تَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ عَلَى عَامِلِهِ تَنْبِيهًا عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِإِقَامَة الْحَدِّ[٣].

سابعاً - والتذكير باليوم الآخر يدل أنّ الأمر خطيرٌ وفيه تهييجٌ واستنفار لإقامة حدّ الله مهما كانت الظروف والموانع.

ثامناً - تحريم الشفاعة في الحدود مهما كانت الأمور ومهما كان الشافع أو المشفوع فيه، فأمر الله فوق كل اعتبار، وقد قال- صلى الله عليه وسلم- لأسامة بن زيد لما كلمه في المرأة المخزومية: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ"[٤].

٢- الآية الثانية: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَة شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوَهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَة وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَة أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ (النور: ٤).

(١) – أخرجه البخاري:(٤/ ١٧٥ رقم ٣٤٧٥)، ٦٠ كتاب حديث الأنبياء، باب حديث الغار، أخرجه مسلم في الحدود، ٢- باب قطع السارق الشريف وغيره (٣/ ١٣١٥ رقم ١٦٨٨).

(٢) – ينظر مفاتيح الغيب/ الفخر الرازي:(٢٣/ ٣١٧).

(٣) – ينظر التحرير والتنوير/ الطاهر بن عاشور:(١٨/ ١٥٠).

(٤) – أخرجه البخاري:(٤/ ١٧٥ رقم ٣٤٧٥)، ٦٠ كتاب حديث الأنبياء، باب حديث الغار، أخرجه مسلم في الحدود، ٢- باب قطع السارق الشريف وغيره (٣/ ١٣١٥ رقم ١٦٨٨). وانظر التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ د وهبة بن مصطفى الزحيلي، (١٨/ ١٣٧)، دار الفكر المعاصر – دمشق، الثانية، ١٤١٨ هـ

إنّ إسقاط شهادة الإنسان ووصفه بالفسق لأمر جللٌ يدل على أنّ فعله كبيرة من الكبائر يستحق هذه العقوبة ويزاد عليها الجلد ثمانين جلدة، وما ذاك إلا اتهام المؤمنات العفيفات في أعراضهنّ، فإنّ الأعراض مصانة محفوظة بحفظ الله لا يجوز التطاول عليها لأنّ ذلك يجعل الأعراض مجرّحة والسمعة ملوثة والبيوت منهارة أو مهددة بالانهيار، وذلك أمرٌ لا يطاق، والإشارة هنا وجوب حفظ المجتمعات من الرزيلة ومقدماتها بكل وسيلة، والضرب بيدٍ من حديد دون هوادة بكل من تسول له نفسه بالخوض في شئٍ من ذلك حتى ولو باللسان، ومن ثمّ أسقط الله الشهادة عن القاذف لأنّ فيه ما يلي:

أولاً: حتى لا يستبيح الأعراض ويهتك الأستار، ولا يتجرأ على حرمات الله[١].

ثانياً: إن أصرّ على قوله لا تقبل شهادته حتى يرجع ويتوب[٢].

ثالثاً: فيه زجرٌ وردعٌ وتأديبٌ وإيلام وإيجاع معنويٌّ للقلب، - لأنه ربما لا يتألم بالضرب- كما هو حال المقذوف بالألم المعنوي الذي يدمر حياته وتنهار الأسرة من جذورها، ألا لعنة الله على الظالمين.

رابعاً: كما آذى القاذف المحصنات بلسانه فعوقب بإهدار منافعه وقيمته جزاءً وفاقاً لأعمالهم، نسأل الله العافية.

خامساً: إسقاط أهليتهم الثابتة لهم بإسلامهم، ولا ترد له أهليته حتى يتوب ويرجع عن قوله، رُغم إن كرامة المقذوف لا ترجع إليه حتى وإن تاب وندم القاذف على فعله[٣].

---

(١) – ينظر تفسير القشيري:(٢/ ٥٩٤).

(٢) – ينظر تفسير البغوي:(٣/ ٣٨٠).

(٣) – ينظر تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، (٦/ ١٥٧)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

سادساً: أمر الشرع بستر العرض- حتى لو وقع في المعصية - إن لم تكن مصلحة شرعية راجحة تقتضي إباحة المستور عند من يملك الإصلاح، والقذف لا يصلح شئاً بل يوقع الشك والريبة، ويدمر الأسرة ويقتل الأشراف، فلا بارك الله فيمن يقذف الناس ويشمت فيهم، ألا بعدا للخبثاء.

سابعاً: القذف فيه: انتهاك ما حرّم الله، وانتهاك حرمة المسلم- بلا فائدة، والطعن في الأنساب بغير بينة، وتكلم الناس بما تكلم به- حتى يوقع المجتمع كله في الحرام-، وإشاعة الفاحشة في المحصنات، وقطع الأخوة الإيمانية التي أمر الله بوصلها[1].

٣- الآية الثالثة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١١).

الألم النفسي أقوى تأثيراً وأشد إيلاماً على الشرفاء بكثيرٍ جداً من الألم البدني، ولما يكن الألم النفسي اتهام بالباطل زوراً وبهتاناً يكن الواقع فيه مريرٌ جداً لا يمكن استغاثته، ولا يمكن لنفس حرّة عفيفة أن تتجرعه مهما حاولت أن تصبر نفسها، أو يوسيها أحدٌ، وفيه إشارة إلى معالجة النفوس وتهدئتها قبل معالجة المشكلة، ثم الهدوء والحكمة في حلّ المشكلة وربما بترك المكان وقطع علاقات، ثمّ الصبر وتجرع الصعوبات، وأخيرا الإلحاح على الله في الدعاء والتذلل بين يديه سبحانه، فالفرج من الله يأتي في لحظة بأسباب يهيأها سبحانه، ولذلك قال ربنا للعفيفات: " لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ"، والسرّ في ذلك أسبابٌ كثيرة، منها:-

أولاً: مسح وإزالة الألم من قلوب أهل العفة والطهارة، وفيه من الرحمة والمحبة واللطف والتحنن للقلوب المكسورة والمكلومة من هول الصدمة التي لا يمكن للسان

(١) – ينظر تفسير السعدي: صـ ٥٦١.

مهما كانت فصاحته وصفها وبيانها، وقد لخصها ربنا بقوله: " وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ".

ثانياً: فيه تميز المؤمنين الصادقين- أصحاب الألسنة الطاهرة العفيفة التي حُفظت من الخوض في الباطل، بل أنكرت ورفضت وصدت الباطل-، عن المنافقين- أصحاب القلوب المريضة الحاقدة - على أهل العفة والطهارة ذوي الألسنة الحداد ومن مشى في ركبهم من ضعاف النفوس الذين يرددون ما يسمعون دون تعقل لما يقولون، فالخير واضح وظاهر، كمن قال: جزي الله المصائب خيراً بينت لي الصديق من العدوّ.

ثالثاً: شرعت أحكام وآداب تحصّن المجتمع المسلم وتحفظ فيه أعراض المسلمين وتقام فيه الحدود على المعتدين، ولولا هذا الحدث الجلل ما شرعت هذا الأحكام والآداب.

رابعاً: إقامة الحدود على المعتدين يشفي صدور قومٍ مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله عليهم، ويخزي ويحقِر المعتدين ويفضحهم حتى يجعلهم في الذلة والمهانة حتى يرتد كيدهم في نحورهم.

خامساً: المعجزة الدائمة بنزول الآيات من العلي الكبير العليم الخبير تتلى إلى يوم القيامة فيها البراءة والطهارة للمحصنات حتى ختمها ربنا في وصف أُمّنا وشرفنا الطهارة المطهرة عائشة الحصان الرزان بقوله: "وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (النور:٢٦) [١].

سادساً: إنّ خير الآخرة وما فيها من نعيم دائم لا ينقطع، ولا مثيل له في نعيم الدنيا يقلّ بجانبه كل بلاء وشر في الدنيا: " لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ"، وقد قال الله لحبيبه- صلى الله عليه وسلم-: " وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى"(الضحى:٤)[٢].

---

(١) – ينظر تفسير البغوي:(١٨/ ١٧٢).

(٢) – ينظر أحكام القرآن/ القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، (٣/ ٣٦٣)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤- الآية الرابعة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٢١).

لقد حذّر الحق سبحانه عباده من الشيطان كلّية فقال سبحانه: " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ"(فاطر: ٦)، وقال تعالى: " وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا"(النساء: ١١٩)، وإنّ العبد لا يقع في الغواية مرة واحدة بل الله تعالى يحفظ العبد ما ثبت على طاعته، فإذا انحرف العبد عن الطاعة تخلّ الله تبارك وتعالى عنه فأخذه الشيطان خطوة خطوة حتى يستدرجه إلى ما يريد، والإشارة فيه إلى عدم الاستهانة بأي ذنب ولو صغيراً فلربما فيه مقت الله وغضبه سبحانه، فيرفع الله عن العبد الحصن والحفظ ويتركه لنفسه فيستشرفه الشيطان فلا تسأل عن هلكته، ولذا حذرنا ربنا تبارك وتعالى قائلاً: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ": وذلك للأسباب التالية:

أولاً: لأنّ المخاطبون مؤمنون، والمؤمن يحفظه ربّه تبارك وتعالى من الشيطان مالم يغفل ويعصي، فإذا غفل وعصى استدرجه الشيطان خطوة خطوة حتى يتمكن منه.

ثانياً: طبيعة الفتنة التي حدثت ونزلت فيها الآيات شديدة صعبة ما كان لمؤمنٍ أن يقع فيها لولا جرأة المنافقين على النبي- صلى الله عليه وسلم- بسبب مرض قلوبهم وحقدهم الدفين فتبعهم بعض المؤمنين غفلة منهم فحذرهم ربنا تبارك وتعالى من اتباع خطوات الشيطان.

ثالثاً: لأنّ المجتمع المؤمن انقسم أثناء الفتنة هذه أربعة أقسام: قسم اختلق الفتنة ورددها حتى قاربت الحقيقة وهم المنافقون. وقسم تبع الفتنة ورددها ولم يدرك خطورة ما وقع فيه. وقسم صمت ولم يتكلم بشئٍ وكذلك لم ينكر فهو تابع للسابقين. وقسم أنكر ورفض ووقف مع الحق وهم قلة، فبين ربنا أنّ ذلك من اتباع خطوات الشيطان حتى يأخذ كل واحد حذره.

رابعاً: قال أبو بكر ابن العربي: من سبّ السيدة عائشة فيما برّأها الله منه فهو مكذب للقرآن، ومن كذّب القرآن كفر، ومن آذى النبي- صلى الله عليه وسلم- في عرضه وأهله كفر[١]، فنبههم ربنا تبارك وتعالى على خطورة ما وصلوا إليه باتباع خطوات الشيطان.

٥- الآية الخامسة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ٢٧).

ما أجمل اهتمام الشريعة بحال المسلم في جميع شؤونه، فلقد أمر الشرع الحنيف بحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ومن أهم أسباب حفظ العرض التي ذكرها ربنا في كتابه وأكد عليه النبي- صلى الله عليه وسلم- آداب الاستئذان، حيث نهي ربنا تبارك وتعالى عن دخول بيوت الغير بغير استئذانٍ، وفيه تهيئة البيوت واستعداد النفوس قبل وأثناء الزيارة حتى تكون النفوس مستريحة والبيوت مجهزة لاستقبال الضيوف فيسعدان ويستمتعان، ولا يكدر صفوهما شئ، وأسباب وجوب الاستئذان كثيرة منها:-

أولاً: لأنّ هذا مما يرح النفس ويطمأن القلب ويرفع الشك والريبة ويحقق سعادة الدنيا والآخرة، وصدق ربنا حيث قال سبحانه: " ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ".

ثانياً: نفي التهمة ودفع الحرج عن جميع المسلمين حتى لا يراه أحد على حالة لا يحب أن يراه عليها أحدٌ حتى لو كان أقرب الناس إليه[٢]، وقد قال صلى الله عليه وسلم: " روى عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار «أن امرأة قالت يا رسول الله: إني أكون في بيتي

(١) – ينظر أحكام القرآن/ القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي (٣/ ٣٦٦).
(٢) – ينظر تفسير المراغي:(١٨/ ٩٤).

على الحال التي لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد، فيأتيني آت فيدخل عليّ فكيف أصنع؟ فنزلت (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) الآية »[١].

ثالثاً: لأنّ الناس اتخذوا البيوت سكناً وراحة وطمأنينة وحفظاً من كل أذى أو ضرر، وسترة للنفس ،والعرض والمال.

رابعاً: تحديد وتقنين وقت الزيارات، فليست مفتوحة في كل وقت، بل لابد من الاستئناس قبل الزيارة، ويدخل في ذلك التواصل الهاتفي، وحتى الرسائل الهاتفية التي تأتي في أيّ وقت تسبب الإزعاج للناس، فليراعي ذلك فإنه أزكى وأرقى وألطف.

خامساً: من الإخوة أن يكون الزائر والمزور متآنسين ومتوافقين فلا يكن حرج في نفس الزائر ولا المزور، فإنّ التزاور شُرع من أجل التقارب والتآلف والتحاب لا التباغض والقطيعة.

سادساً: قطع أسباب الإساءة من رفع الصوت أو الشتم أو الإغلاظ في القول، وسد أبواب الريب والشك في النفوس.

سابعاً: زيادة الألفة والمحبة وزيادة التواصل والتزاور بين الإخوة، كما قال ربنا تبارك وتعالى: " ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ".

٦- الآية السادسة: ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٢٨).

إنّ تعويد النفس على الاستجابة لأمر الله وإنْ خالف طبعها لهو أقوى دليل على الإيمان، وليس كل المسلمين يتعودون ذلك، قال تعالى: " وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ"، ولقد نهى ربنا تبارك وتعالى على عدم دخول البيوت ما لم يوجد بها أحدٌ

(١) – أخرجه رواه الطبري في "تفسيره" ١٨/ ١١٠ - ١١١، والثعلبي في "الكشف والبيان" ٣/ ٧٦ أ، والواحدي في "أسباب النزول" ص ٢٦٩ من طريق أشعث بن سوّار، عن عدي بن ثابت. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ١٧١ ونسبه للفريابي والطبري.

ويأذن بالدخول، وفيه نفي التهمة ورفع الشبهة وحفظ العرض والأسرار، وإغلاق باب المشاكل والخلافات، والأسباب في ذلك كثيرة منها:-

أولاً: حفظ أمر الله، وحفظ حرمة صاحب الدار، حتى لا تكشف عورات، ولا تفضح أسرار(١).

ثانياً: رفع الحرج والملامة عن المسلم في الاعتذار من دخول أحدٍ عليه في أي وقت لا يحب ذلك.

ثالثاً: رفع الخوف من استباحة البيوت حتى لو كانت مفتوحة ولو لم يكن فيها سوى الأطفال والنساء، لأن الدخول لا يكون إلا بالاستئذان والإذن بالدخول، وذلك من فضل الله على أمة الإسلام (٢).

رابعاً: حتى لا يغضب ولا يحزن الزائر إن لم يأذن له صاحب البيت فإنه لم يمنعه حق هو له، بل هو متبرع إن شاء أذن وإن شاء منع، وذلك: " هُوَ أَزْكَى لَكُمْ"(٣).

٧- الآية السابعة: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوَهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٣٣).

ومن تمام النور وكماله وجماله دعوة الإسلام إلى العفة والطهارة، ونهيه عن الرزيلة بكل أشكالها حتى ولو كانت من العبيد والإيماء، وحذّر وشدد التحذير في إجبار أحدٍ على الفجور والمعاصي مهما كانت الدواعي، وذلك للأسباب التالية:

(١) – ينظر تفسير القشيري: (٢/ ٦٠٥).
(٢) – ينظر تفسير التحرير والتنوير: (١٨/ ١٩٧).
(٣) – ينظر تفسير السعدي: صـ ٥٦٥.

أولاً: العفة والطهارة والبعد عن مقارفة الرزيلة أفضل وأطيب للنفس السوية من الرتع في الوحل والطين والكسب الذي يورث الذلة والحقارة بغض النظر عن الدين والأجر والثواب.

ثانياً: مال البغاء خبيث كريه عند العاقلين من الكافرين والمشركين فكيف بالمسلمين أصحاب النقاء والطهارة.

ثالثاً: منع اختلاط الأنساب، وضياع الحقوق، وتلك جريمة كبرى لها أسوء الآثار على المجتمعات التي تنشير فيها من كثرة اللقطاء، وقتل الأجنة والأطفال، والعقوق، وانتشار الجرائم بصورة لا تطاق. نسال الله العفو والعافية.

رابعاً: حق العبيد والموالي من المحافظة والرعاية والإطعام والكسوة والرحمة بهم وعدم إجبارهم على ما يكرهون.

خامساً: المجاهرة في البغاء واستلحاق الأولاد يشجع على الرزيلة ويهدم القيم.

سادساً: إغلاق باب الفتنة والسبل المنحطة للسعار الجنسي، وتطهير المجتمع المسلم من الرزيلة وذلك يفتح الباب إلى البحث عن الطريق المشرع بالزواج الصحيح.

سابعاً: معالجة المشاكل الاقتصادية في الأمة من الطرق المنحرفة إلى الطرق المشروعة الطيبة الطاهرة التي تجعل حياة المسلم في أمان ورخاء وسعة بالمصادر المشروعة.

ثامناً: معالجة كل المعوقات التي تؤخر الزواج أو تصعبه على الشباب المسلم بإرخاص المهور وتقليل نفقات الزواج، والحث على التعدد حتى يقضي على وسائل الفتنة.

٨- الآية الثامنة: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لاَّ تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٥٣).

نهى الله الله تعالى المنافقين عن كثرة الحلف فأنّ أمرهم معروف وطريقهم مفضوح، وأيمانهم لا تقدم ولا تؤخر بلَ لا تزيدهم إلا مهانة واحتقاراً في الدنيا، قال تعالى: "وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ"(القلم:١٠)، وعذاباً مهينا في الآخرة، قال تعالى: " اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ"(المجادلة:١٦). والنهي لأسباب كثيرة:

أولاً: لقد أكد ربنا تبارك وتعالى أنهم منافقون بقوله: ﴿ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقوله: " أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا.. ﴾ (النور:٥٠)، ومن كان على حال هؤلاء فلا خير فيهم أبداً، قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة:١٨).

ثانياً: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، "[(١)]، فإذا كان هذا حالهم مع الصلاة فكيف بهم في الجهاد في سبيل الله، وواقعهم في حياة النبي- صلى الله عليه وسلم- معروف ومسجل كما في غزوة أحد، وبني المصطلق، وغزوة تبوك وفضحهم القرآن كثيراً في سورة التوبة.

ثالثاً: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"[(٢)]، ومن كان هذا حاله فلا خير في حلفه إلا إخلاف الوعد.

فالإشارة التربوية هنا وجوب الصدق في القول والإخلاص في العمل، وعدم كثرة الحلف فإنها علامة ضعف، ولا يجوز تصديق المنافقين مهما كان منهم فهم كاذبون لا يعرفون للصدق طريقاً.

---

(١) – أخرجه مسلم: (١/ ٤٥١ رقم ٦٥١)، ٥ -كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ٤٢ - بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وَبَيَانِ التَّشْدِيدِ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهَا.

(٢) – أخرجه البخاري: (١/ ١٦ رقم ٣٣)، ٢ -كتاب الإيمان، بَابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ. ومسلم: (١/ ٧٨ رقم ٥٨)، ٢ -كتاب الإيمان، ٢٥ - باب بيان خصال المنافق.

٩- الآية التاسعة: ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ (النور: ٥٧).

إن اليأس والإحباط سلاح الشيطان على المؤمنين في كثير من الأحيان، - وذلك بكثرة الفتن والابتلاءات- حتى يستبعد الفرج والنصر، قال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ القَوْمِ المُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠)، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤)، ولكن نصر الله لعباده واقع لا محالة - حتى وإنْ طال الزمن، فيجب على المؤمنين اليقين الراسخ الذي لا يتزلزل أبداً أنْ الله معهم وناصرهم مهما كانت قوة أعداء الله، فدولة الباطل سعاة ودولة الحق إلى قيام الساعة، وما يحدث من شدة وابتلاء إنما هو للتمحيص والتربية وعودة المؤمنين إلى ربهم، وقد قال ربنا لحبيبه- صلى الله عليه وسلم-: " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ"(الروم: ٦٠)، وقال أيضاً: " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (غافر: ٧٧)، فالإشارات التربوية هنا أن نتعلم من نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- كيف يكون اليقين والثبات مهما كانت الشدائد، وقد بدا ذلك في يوم الهجرة، حيث قال سبحانه وتعالى: " إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"(التوبة: ٤٠)، وكذا في يوم حمراء الأسد حيث قال ربنا تبارك وتعالى: " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"(آل عمران: ١٧٣- ١٧٤)، وهذا ما كان من أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب، قال تعالى: " وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً"(الأحزاب:٢٢)، في حين أنّ

المنافقين في نفس الموقف قالوا: " مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً"(الأحزاب:١٢)، وهكذا يجب أن يكون المؤمنون في كل وقت، وعلى أيّ حال.

١٠- الآية العاشرة: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَة أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

إن من الإيمان بالنبي- صلى الله عليه وسلم- التعزير والتوقير، قال تعالى: " لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَة وَأَصِيلًا"(الفتح:٩)، والتعزير هو النصرة، والتوقير هو الإجلال والتعظيم مما يتناسب مع أبهة النبوة، وله صور كثيرة منها:-

أولاً: أن لا ينادوه باسمه، بل يا نبي الله ويا رسول الله، أو بكنيته يا أبا القاسم- صلى الله عليه وسلم-.

ثانياً: أن لا يتعرضوا لدعائه عليهم فإن دعوته موجبة، وذلك مهلكة.

ثالثاً: أن لا يدعوه-صلى الله عليه وسلم- بغلظ وجفاء، بل بلين وتواضع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٠٤) [١].

رابعاً: أن لا يستهينوا بندائه عليهم ودعائه لهم-صلى الله عليه وسلم- ولا يجعلوا أمره لهم ونداءه عليهم كما ينادي بعضهم على بعض، بل أمره فرض ودعاءه واجب حتى ولو كانوا في الصلاة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال:٢٤).

(١) – جامع البيان/ الطبري:(١٩/ ٢٣٠).

خامساً: ألا يرفعوا أصواتهم في دعائه-صلى الله عليه وسلم-، بل برفق وتواضع، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات: ٢- ٣) (١).

سادساً: أن لا ينادونه-صلى الله عليه وسلم- وقت راحته، بل ينتظرون خرجه إليهم، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ٥).

سابعاً: ألا يقدموا قولهم على قوله-صلى الله عليه وسلم- فإنّ قول الله ورسوله-صلى الله عليه وسلم- مقدم على أيّ قول، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١).

□

(١) – مفاتيح الغيب/ الرازي:(٢٤/ ٤٢٥).

الخـــاتـمـة

حاولت- بفضـــل الله تعالى- في هذا البحث بيان آيات النواهي في ســـورة النور والاجتهاد في تجلية الفوائد العلمية والتربوية من حال نزولها ومقتضـــياته، وتوصّـــلت- بفضـــل الله- من خلال عرض الخطة، والدِّراســـة التَّحليلية لما اســـتقرأته من التتبُّع، النتائجَ الآتية:

١- وجوب إقامة حدود الله في الأرض فهو الخير كله، وعدم التهاون أو التقصـــير فيه، لأنه الخراب والمقت والغضـــب من الله، ويراعي آداب إقامة الحدود بعدم الرأفة بالمحدودين، وحضـور طائفة من المؤمنين حتى يكون ذاك رادعاً وعونا على إتمام الحدود كما أراد الله.

٢- وجوب حفظ المجتمعات من الرزيلة ومقدماتها بكل وســـيلة، والضـــرب بيدٍ من حديد دون هوادة بكل من تسول له نفسه بالخوض في شيءٍ من ذلك حتى ولو باللسان.

٣- عند وقوع البلاء والفتنة يجب معالجة النفوس وتهدئتها قبل معالجة المشـــكلة، ثم الهدوء والحكمة في حلّ المشكلة، وربما بترك المكان وقطع علاقات، ثمّ الصبر والتصبر وتجرع الصعوبات، وأخيرا الإلحاح على الله في الدعاء والتذلل بين يديه سبحانه، فالفرج من الله يأتي في لحظة بأسباب يهيأها سبحانه لا دخل للخلق بها.

٤- الإشـــارة إلى عدم الاســـتهانة بأي ذنب ولو كان صـــغيراً، فلربما فيه مقت الله وغضـبه سـبحانه، فيرفع الله عن العبد الحصـن والحفظ ويتركه لنفســه فيســتشـرفه الشيطان فلا تسأل عن هلكته.

٥- الاســتئذان والاســتئناس قبل دخول البيوت، لتهيأة البيوت واســتعداد النفوس قبل وأثناء الزيارة، حتى تكون النفوس مســتريحة والبيوت مجهزة لاســتقبال الضـــيوف فيسعدان ويستمتعان، ولا يكدر صفوهما شيء.

٦- عدم دخول البيوت ما لم يوجد أحد ويأذن بالدخول لنفي التهمة ورفع الشبهة وحفظ العرض والأسرار، وإغلاق باب المشاكل والخلافات.

٧- العفة والطهارة، والبعد عن الرزيلة بكل أشكالها حتى ولو كانت من العبيد والإيماء، والتحذير من إجبار أحدٍ على الفجور والمعاصي مهما كانت الدواعي.

٨- الصدق في القول والإخلاص في العمل، وعدم كثرة الحلف فإنها علامة ضعف، ولا يجوز تصديق المنافقين مهما كان حالهم فهم كاذبون لا يعرفون للصدق طريقاً.

٩- أن نتعلم من نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- كيف يكون اليقين والثبات مهما كانت الشدائد، ومهما كانت قوة الكفار، فالنصر من عند الله وحده وقد وعد به سبحانه عباده المؤمنين، قال تعالى: " وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ"(الروم:٤٧)، وقد بدا ذلك من النبي- صلى الله عليه وسلم- في يوم الهجرة، ويوم حمراء الأسد.

١٠- إن من الإيمان بالنبي- صلى الله عليه وسلم- وجوب التعزير والتوقير له- صلى الله عليه وسلم-، والتعزير هو: النصرة، والتوقير هو: الإجلال والتعظيم مما يتناسب مع أبهة النبوة.

وأمَّا ما أوصي به من اقتراحٍ، فيتلخَّص في إفراد ما يشبه هذا النوع من الدراسات القرآنية بتجديد البحث فيها وعرضها على منهج الدراسة الموضوعية نحو: أوامر سورة النور دراسة تربوية.

فهـــرس المراجـــع

- الإتقـان في علوم القرآن/عبـد الرحمن بن أبي بكر، جلال الـدين السـيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق/محمد أبو الفضـل إبراهيم، الهيئة المصـرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- إرشـاد العقل السـليم إلى مزايا الكتاب الكريم. أبو السـعود العمادي، طبعة دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- أضـواء البيان في إيضـاح القرآن بالقرآن/محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشـنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشـر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- إعراب القرآن وبيانه/محيي الدين بن أحمد مصـطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشـاد للشـئون الجامعية - حمص - سـورية، (دار اليمامة - دمشـق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الرابعة، ١٤١٥ هـ.
- البرهان في علوم القرآن/أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشـي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السـديد وتنوير العقل الجديد من تفسـير الكتاب المجيد»/ محمد الطاهر بن عاشور التونسي ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- إرشـاد العقل السـليم إلى مزايا الكتاب الكريم/أبو السـعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تفسـير القرآن العظيم / لابن كثير، تحقيق محمد حسـين شـمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية بيروت – الأولى ١٤١٩هـ.

- تفسير المراغي/أحمد بن مصطفى المراغي ١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الأولى، ١٣٦٥هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر دمشق، الثانية، ١٤١٨هـ.
- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق/د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، طبعة دار النفائس.
- تفسير نظام القرآنوتأويل الفرقان بالفرقان/ عبد الحميد الفراهي(١٢٨٠ – ١٣٤٩)، الدائرة الحَمِيدية الهند الطبعة: الأولى ٢٠٠٨م.
- تهذيب اللغة / محمد الأزهري الهروي، أبو منصور ٣٧٠هـ، تحقيق/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الأولى٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف / زين الدين محمد الحدادي ثم المناوي القاهري ١٠٣١هـ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسي كلام المنان، طبعة دار الحديث – القاهرة.
- جامع البيان في تأويل القرآن /محمد بن جرير الطبري، ت ٣١٠ هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر – الرسالة الأولى١٤٢٠هـ.
- الجامع الكبير - سنن الترمذي/ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري/محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبعة دار الكتب المصرية – الثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير/ جلال الدين السيوطي، تحقيق/ مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف - مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥.
- جمهرة اللغة /أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ٣٢١هـ، تحقيق/ رمزي منيربعلبكي، دار العلم للملايين بيروت، الأولى، ١٩٨٧م
- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون/القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية /حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحيق /علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ
- السلسلة الصحيحة /محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، بدون تاريخ.
- السلسلة الضعيفة / محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، بدون تاريخ.
- سنن ابن ماجه/أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
- سنن أبي داود/أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

- السنن الكبرى/أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه/ حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / أبو نصر الجوهري الفارابي ٣٩٣هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الرابعة ١٤٠٧هـ.
- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني سنة ٨٥٢ هـ، دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩ هـ، رقمه / محمد فؤاد عبد الباقي، عليه تعليقات الشيخ عبد العزيز بن باز.
- القاموس المحيط / مجد الدين الفيروزآبادى ٨١٧هـ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة لبنان، الثامنة ١٤٢٦هـ.
- كتاب التعريفات/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ٨١٦هـ، تحقيق/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- كتاب العين/أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ١٧٠هـ، تحقيق/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٠٧ هـ
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي (٤٢٧ هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بإشراف: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين

باشـــه. دار التفســـير، جدة - المملكة العربية الســـعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـــ - ٢٠١٥م

- الكليات/أيوب بن موســى الحســيني، تحقيق / عدنان درويش ومحمد المصــري، طبعة الرسالة – بيروت.
- كيف نتعامل مع القرآن/ محمد الغزالي، طبعة نهضة مصر، الطابعة السابعة، ٢٠٠٥م.
- لسان العرب / محمد ابن منظور الأنصاري٧١١هـــ، دار صادر – بيروت، الثالثة:١٤١٤ هـ
- مجالس القرآن/ فريد الأنصاري، طبعة دار السلام، بدون تاريخ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ
- محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد القاسمي١٣٣٢هـ، تحقيق/محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت.
- مرقاة المفاتيح شـــرح مشـــكاة المصـــابيح/ أبو الحســـن نور الدين الملا الهروي القاري ١٠١٤هـ، دار الفكر، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- مســـند الإمام أحمد بن حنبل/أحمد بن حنبل، المحقق: شـــعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- المســـند الصـــحيح المختصـــر بنقل العدل عن العدل إلى رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم/مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـــ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى/ أ. ي. فنسنك، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة بريل، ١٩٣٦م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصـــرية، ١٣٦٤م.

- معجم مقاييس اللغة / أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي٣٩٥هـ، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- مفاتيح الغيب / أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ت ٦٠٦ هـ، دار إحياء التراث العربي– الثالثة ١٤٢٠هـ.
- المفردات في غريب القرآن/أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهانى ٥٠٢هـ، تحقيق/صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الأولى - ١٤١٢ هـ.
- نظرات في القرآن / محمد الغزالى- طبعة نهضة مصر الطابعة السادسة ٢٠٠٥م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.